الفليحي شاعر زمنه الكبير

ورحلة العمر والشعر الطويلة

يقول الفليحي :

حط البيرق وقلط الدلتيني
والثالثة إركه على حامي النار
يبرالهن مما تحوش اليميني
ومن ماوجد له مايخفي على الجار

ولأنه الجار صاحب المنزلة الرفيعة عند الفليحي فأننا لانستطيع أن نبدأ كما نريد ، لأننا ستكون في حيرة بحجم هذا الشاعر ولانعلم من أين ستكون البداية الصحيحة لرجل بمقامة ومنزلته وشاعريته ، فقد يخوننا الاختيار أحياناً ولكن ماخفي كان أعظم ، اذ كان دائما يردد بصوت قد أدماه الأنتظار ويدعو :

يالله تجيب القريب الزين
اللي لطيف مثل عالي
والا محمد ابن عجوين
من روس ماضين الأفعالي

ف عالي و ابن عجوين من جيرانه الذين رحلوا لطلب العيش فتوجد عليهم وحن لهم فلما وصلت القصيده محمد بن عجوين الرشيدي أرسل له هذه الأبيات

يا راكبين حمراء عليها اللواليح
مده ومماسيها ختوم الرعيله
تلفي لربع عادته هيت الريح
ربع الفليحي حي هاكالقبيله
وابو مهنا ياهبا خامد الريح
يلبي كما حراً براس الطويله
له دلة تركا على حامي الريح
ياما صفق من بثلها بالثنيله
ياما ذبح من عين كبش المصاليح
وان ما لقا عنده يدور بديله
عبده مقزية العداء بالمصابيح
بركضاتهم كم طلقوا من حليله
ياهلو البيرق بايمن طليفيح
ياسعد من راحت خليل خليله
وتعم يشمر كاسيين التماديح
تعم بهم ياحبيبها من قبيله

لم يقف القدر إلى هذا الحد فلقد اكمل مافرض عليه رب السموات والأرض برحيل أحبابه الذين كانوا كالمطر لقلب الفليحي ، ويقول رحمه الله عندما أوصى غلام بعد أن ركب ذلوله مصوراً راحلته ..

ياراكب حمراء تجيبه حطيبي
فيحاء تبوج القاع من عجل ممشاه
وتشف بذيلٍ مثل شف العسيبي
ودفوفها مثل الوسايد مدحاه
ياروحة مع سهلة تقل ذيبي
ياشاف سعساع الخلا سمرة الشاه
ولا الرقيعي بالهبوب الصليبي
أو موت شاحوف كفا الغرب من ماه

وقال موصفاً الغلام :

عليه من يدي كلام غريبي
للي قبلهم كايد الهم يجلاه
عليه غلام بالخلا مايهيبي
دليل عيرات عن العوم يقداه

فطلب من الغلام أن يبشره بقوله:

عجل علينا بالخبر يالذيبي
وبيوتهم بأيا المناحي مبناه
وش حالهم ياعل حالك تطيبي
بشر بعلم اللي تمرن حكاياه

إلى ان قال رحمه الله

تهول المخلوق من لفع شيبي
وكل يقول مشيّب وش هاللي جاه
لو تدري يالمخلوق عن لفع شيبي
غيابي تدري بيانه وتطماه
لاجت من الأقراب ماله طبيبي
ولو هي من النزول المناظر دوناه
خطو الولد يزعم يهرج مصيبي
يبي يفتح له عيونه وهو أعماه
والمرحله مرقاه عسر تعيبي
ولد الردي ماظنتي له تمناه

من هذه الأبيات التي تقطفتها لكم من واحة الفليحي ماهي إلا عناقيد حياته التي عاشها وترجمها بأحاسيسه المرهفة كان هناك رجل يدعى فرج بن مكيمن يسقي الناس من بذره له من قلب الفليحي نصيب من الكلمات التي تعبر عن كرم هذا الرجل وعن قبيلته ، فقال :

إلتمسوا فرج ياهل العملان
تروون فراج يبلا منه
أبو حمد مشيع الجيعان
كل الضوامي يفرنه
ومن مال منكم على القفعان
تلقى المياهير له بنه
تر منقع الطيب ابن غضبان

■ علاقته رائعة مع ابن عجوين الرشيدي

■ شاعر أمي غير انه بحر من المعرفة

عند اللزم مايتعدنه
وابوه قبيله خذا قطعان
ياموذع الخلق له حنه
يالله ياماري الوجعان
ياخالق النار والجنه
تلقى مزون لها ضيان
دار القفيلات يسقنه

من لايشكر الناس لايشكر الله للرجال نصيب في قريحة الشعراء فهاهم هل الحيزا أخوان ميثاء يسطعون في أروع ماكتب الفليحي

على الجيل عسى تهل الهمايل
ترجع على الأوطان وأرض الطوالي
من أرض العدو لفلات يوجد من السيل
عسى على كحله يسوق الخيالي
وعسى الخريزا يسقيله مخايل
غر وتدهن للفراج الزلالي
هذا مداهن للرجال المشاكيل
ولأخوات ميثاء مبهرين الدلالي
ونعم يـ هل الحيزا ليا كضك الميل
وبيوتهم ترخص غوال الحلالي

يملك هذا الشاعر وجدان بعيد المدى فتجده في معظم قصائده يتوجد على القريب والبعيد ، له حفيد إسمه مطير ذهب مع مجموعة من البدو لتتبع المطر فلما زاد بشاعرنا الحنين وطال غياب حفيده مر على بيت أهله وأنشد قائلاً:

يامطير من شديت وعني تنحيت
يم الحجر على تناويت الابعاد
لاجيت مضرب بيتكم بس وليت
ماقفل انا عند الاجاويد بيلاد
ولاذوق نوم الليل لاحل طاريك
بالقلب هاجوس وبالكبد قداد

فبروعة تصويره وظف نفسه كالساقط من على فرسه داخل ميدان المعركه وقال:

سقطت سقطة مضحت الغزو وخليت
أخطوا الركاب وعاودوا لدر الأوعاد

الفليحي

ولاجاء هله علم هو حي أو ميت
ماحاس طلقين اليماني للاذواد

فبعد كل عسر يسر هكذا تعلمناه من هذا الشاعر عندما يصور حالته المزريه وينعشها بقدرة الخالق

وصلاة ربي كل ما اصبحت وامسيت
غربيل للدعت هو والاجلاد
يامر الكريم مدبر الحي والميت
يصدق لنا من الولي بالمطر عاد
ينبت عدي النبت من كل مريت
وعقب المحل يشتاق له كل رواد

وفي اواسط عام 1340 من الهجره إنتشرت حركة الأخوان التي صاحبها الكثير من الجهل بسماحة الدين عن البعض الذين قد يبررون القتل تحت ذريعة الدين دون معرفتهم بحرمة الدم . ففي سنه من سنوات الجهل داهم مجموعة منهم مسجدا في قريه تسمى (الشعيبة) شمال شرق حائل وهم يصلون التراويح في شهر رمضان فقتلوا جميع من في المسجد ونهبوا كل الأطفال الذكور فدعت عجوز عليهم بعدة ابيات تعبر عن ماحدث في هذا اليوم :

ياعل دار حل به ذبح الأجواد
تاخذ ثمان سنين ماسال وادي
وتاخذ ثمان سنين ماجاه رعاد
يسكر هواه ولايطير السمادي
ذبحوا هل المسجد ركوع وسجاد
ووخذ رضيع الديد من أقصى الفوادي

يقال أن قائل هذه القصيده عجوز وأن دعوتها أصابت هذا المكان الذي أصبح مكان شؤم بالنسبه لجميع المسافرين عبر هذه القريه .

وبما ان الشعر رساله والشاعر هو المترجم الوحيد لهذه الرساله كي يوصلها للقاصي والداني ، وبما ان الفليحي رحمه الله عاصر هذه الحركة قال في ذونيته التي تحتوي على منجم من الابداع لشاعر لم يقرأ ولم يكتب ولكنه يعرف تماما ما يقول فربما كان الفليحي أميا غير انه بحرا من المعرفة ويجيد قراءة بين السطور :

سلامٌ من الأخ المستحب إلى الرحمن
لاساحق العقل من الأخوان
ياناليـاً لله كل توبتك

■ سياسي لا يحب الا سياسة حب الله والناس

■ الشعر رسالة والشاعر هو المترجم الوحيد لهذه الرسالة كي يوصلها للقاصي والداني

تجزك النفس الخبيثة للحرمان
ابصر بكتاب الزهد إن كنت جاهلاً
كم أقعدلك آية القران
دع عنك أموال النّاس وأكل المشتبه
الحظ غايب والقفا شيقان
لا تأكلون أموال الناس في تشط الحجج
لا يأكل المسلم بلا برهان
ياراكبين الخيل إمشوا وسلّموا
ردّوا سلام لي على الخبّان
اغلي هل التوحيد ونصرة عزّهم
وأفرح بعزّ العالم الرباني
ملّة إبراهيم الحنيفية قوموا
إمشوا بحق وارضوا الرحمن
الأمر مرّ مثل مرّ العلقم
على المنافق وأخو الشيطان
ياازارع تزّ للربيعة تحصدوا
بلس الفلاحة وإسمك الخسران
امشي مع المخلوق وشف أحوالهم
ورأيت أنا المنكر مع البدوان
سهو ولهو وخوض كلامهم
ماشفت أنا للقعشة شغلاني
عدّوا لدار الحق فيها واغنموا
دار القرار ونصبة الميزان
إسئل عن دينك أهل العلم إن كنت لا تعلم
كل المشايخ هم وابن سحمان
نصبر على المخلوق ولو طالوا بنا
صبرٌ جميل وبالله المستعان
فيلك ترى الدنيا غرورٌ لأهلها
تستلحق الأجداد وكل من عليها فان
لي لابةٍ بأول زماني دينوا بها
واخر زماني كلهم كذبان
ياجمعة الخلائق في صعيداً واحدا

تعوذ بك من حامي النيران
ياشخصة الأبصار عندك حضيوا
يالله تجينا قاوي الأخوان
اسالك يارب كريمٌ ان ترحمن
تدخل بنا الجنة بلا رهيان
انا جيت ناس ينظروني
كثيرين التغطرز والضحكان
ترى الله مايهمل مثقال ذرة
شديد العقاب بالقضيان
الا يالله ياصمن يذكره ماينا حيلة
تعزّ من يشكاك وتهداني
تعلم بغيب القلب وخلاف دينها
تعطي العقيم وتُبري الوجعان
لابدّ من قبر وضيقٍ يهدمّ
عليك واشتدّ من المسكان
وقسطك من الدنيا ثمانية أذرعٍ
تحت اللحد تجمع بك الديدان

فللغزل واحات في روح الفليحي رحمه الله تجري في اقطاب روحه الطيبه أنهارٌ شرب منها القاصي والداني أشقانا من ينابيع قلبه ولم نرتوي حتى الأن كان يقول .

قالوا : علامك ساهر قلت : عيني
ماهو رمد ياناس ياللي تداوون
عيني دواها شوف أبو ردعتيلي
يا أهل القلوب الفاهمه كان تدرون !

فلم يقتصر الغزل فقط على الفليحي وانما إجتاح أبنائه مهنا وسلمان
في يوم من الأيام صادف مهنا الفليحي ثلاثه من البنات عند أحد الأبيار المعروفه فقال لهن بكل شفافيه ووضوح

انتن ثلاثه كيف ربي جمعكن
لاريم لاغزلان لاضبا ولاخشوف
يلااهيباتن انتن لنا مانفعتن
صرتي على قلب عذاب وشاطوف
كم واحد من قبلتا به رلعتن
وعيا يتهنى بمقعده كود بوقوف
الله قوي وقاوي اللي جمعكن
يزين الوصايف وافي كل ماشوف

اما سلمان فلقد إنفرد بالغزل لوحده رحمه الله فكان خياله خصب وتصويره دقيق وكانت أغلب قصائده غزليه كان يقول في إحدى إبداعاته

وافليبي اللي روحت فيه كله
امشي سقيه وباقي العقل غادي
قل ليه رمحك يالغضي ماتكله
اودعتني عدي جضيع الوسادي
الشهد بيض واللوافح رفله
والا فناجيل الدلال الجدادي
ونيت لي ونه وتسعين ونه
تسعين مع تسعين ضاع العدادي
أكثر من اللي بالبحر شرعله
واكثر من الطايح نهار الجدادي

وقال أيضاً :

يالله يااللي من ترجاك ماضاق
يامنشي غز السحايب تسوقه
يسوقني من سايق البين سواق
وماهو هوىً لي مار هذي حقوقه
صبح الثلاثاء وافقت قبل الأشراق
نار توقد بالضماير شعوقه
حبيتها بالحلم ثمان على ساق
خانت حلوم الليل ماهي صدوقه
والراس ياذيل أشعلٍ حيل براق
مربط أصيل وجلاياته عموقه
ما أنساه كود السيل يصعد بالأسواق
أو حمر رمان تنازح عروقه

توفي الفليحي بن سلمان السليطي رحمه الله في عام 1397 من الهجره عن عمر يناهز 127 عام ودفن في قديره شمال حائل بـ 25 كيلو
الحديث يطول عن هؤلاء الأهرام فالكل مكمل للآخر ،ولكن للحديث بقيّه كشأن كل الكبار الذين اثروا بسيرتهم العطرة حياتنا وتراثنا اذ كانوا الجانب المضيء الذي تقتبس منه نور فضلهم وتقدمهم بالخير واختلافهم عن السائد حولهم ، فلم يكونوا الا منارات ادب وعلم وأخلاق تقول لمن بعدهم (ليس الفتى من قال كان ابي) ..

نايف بركه مهنا الفليحي